



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث  
المستوى: سنة ثالثة ليسانس  
تخصص: دراسات أدبية  
الأفواج: ( ف1+ف2+ف3 )

## الحصة التطبيقية الرابعة:

دراسة تطبيقية لطرف أهل خراسان، مأخوذة من  
كتاب البخلاء

## الحصة التطبيقية 04

### دراسة تطبيقية لطرف أهل خراسان، مأخوذة من كتاب البخلاء

#### تمهيد :

هذه القراءة هي محاولة للبحث في مدى استيعاب النصوص العربية القديمة الموجزة كالطرفة والنادرة لمكونات السرد ومقولاته شكلا ومضمونا. من خلال محاورة تطبيقية لطرف أهل خراسان بوصفها نموذجا خصّ فيه الجاحظ أهل خراسان عامة وأهل مرو خاصة بجملته من النوادر والطرف التي مثلت بصمة خاصة في كتابات الجاحظ.

#### أولاً- طرف أهل خراسان الدلالة والمضمون

طرف أهل خراسان واحدة من أهمّ النصوص السردية في بخلاء الجاحظ، «سلك فيها مسلكاً عملياً فأولى عناية خاصة بفلسفة الفكاهة وحشد قدرًا كبيرًا من الطرائف والنكات»<sup>1</sup>، معتمداً على خصوصية الفكاهة التي تقوم على «التلميح الدال، والإشارة السريعة... ومن ثمّ فهي تلتزم العبارة الواضحة واللغة السهلة المفهومة»<sup>2</sup>. كما اعتمد على دلالة الفكاهة اللغوية من حيث هي «المزاح، فيقال فكهمهم بملح الكلام؛ أي أطرفهم»<sup>3</sup>.

وطرف أهل خراسان في مجملها أربعة وعشرون (24) نادرة أو طرفة تتفاوت في طولها. وتُنسب أغلبها لأهل مرو من خراسان وهذا ما صرّح به الجاحظ منذ البداية، حيث قال: «نبدأ بأهل خراسان لإكثار الناس في أهل خراسان، ونخصّ بذلك إلى أهل مرو، بقدر ما خصّوا به»<sup>4</sup>.

#### ثانياً- بنية السرد في طرف أهل خراسان

تقوم طرف أهل خراسان على بنية سردية مخصوصة يمكن بيان تفصيلها على النحو التالي:

<sup>1</sup> أحمد عبد الغفار عبيد، أدب الفكاهة عند الجاحظ، ط1، 1982م، (نسخة إلكترونية)، ص 22

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 121

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (م ز ح)، للتوسّع ينظر: شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك رؤية جديدة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ع 289، يناير 2003م، ص 259

<sup>4</sup> الجاحظ، البخلاء، تج: فؤاد بركات، مراجعة: فتحية عبد الوهاب، شركة القدس، القاهرة، ط2، 2010م، ص 40

1. **الاستهلال السردى:** احتل الاستهلال أو الابتداء أو مفتتح النص أهمية بالغة من قبل الدارسين والباحثين منذ عصور متقدمة وأغلبها ركّز على موقعها وأثرها. فهذا أرسطو يبيّن ذلك فيقول: «هو بدء الكلام الذي يفتح السبيل إلى ما يتلوه»<sup>1</sup>، فيشعر المتلقي أو القارئ بما ينقاد إليه قبل تمامه<sup>2</sup>، وقد جاءت صيغة الاستهلال على قصرها مليئة بالدلالات والمركبات.

#### أ- صيغ الأداء:

وهي الصيغ التي يستعملها المتكلم قبل إلقاء الكلام، وتؤثر على جنس الكلام، ونوعه أو الغاية منه<sup>3</sup>، فعندما يشرع الجاحظ في إدراج نص الطرف، يستهلها بصيغ **حدّثني**، قال.... ويمكن أن نميز بين نوعين من الصيغ:

■ **الصيغ النوعية:** وهي المتصلة بالكلام من حيث طبيعته الجنسية أو النوعية أو النمطية، ونجدها في قوله: **حدّثني**، قال...<sup>4</sup>

■ **الصيغ المرجعية:** وترتبط بمصادر تحصيل الكلام، وتمكّننا من تعيين أصوله ومصادره على نحو ما نجده في قوله: رأيت، سمعت من...<sup>5</sup>، وقد وردت هذه الصيغ على النحو الآتي:

صيغ نوعية (قال/10، قيل/01، حدّثني /04، زعم/02، حكى/01).

صيغ مرجعية (كنت/01، رأيت/01، سمعت/01).

وتفيد هذه الصيغ في تحديد مرجعية الطرف ومصدر الخبر، والوعاء الحاضن لها، فقد يكون الكلام قد انتهى إلى الجاحظ بواسطة السماع أو الرواية [توظيف الحافظة]، أو بواسطة الرؤية والمشاركة [توظيف الذاكرة].

#### ب- الإسناد:

يُشكّل الإسناد بنية أساسية في الاستهلال السردى لطرف الجاحظ حيث وظّفه الكاتب بطريقة لافتة حتى غدا علامة مميّزة، لطرفه وعنصرًا مهمًا في تشكيل، سرديتها، والإسناد في معناه البسيط نسبة المروي إلى أشخاص آخرين حقيقيين أو مجهولين. وقد نسب الجاحظ أغلب نصوص طرفه إلى رواة

<sup>1</sup> أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الرشيد، بغداد، د.ط، 1980م، ص 235

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1985م، ص 115-116

<sup>3</sup> سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجاليات، مرايا الكتاب، القاهرة، ط1، 2006م، ص 170

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 171

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 171

متعددين، ويعرف الراوي (Narrateur) في الدراسات السردية أنه «الشخص الذي يروي القصة»<sup>1</sup>، أو هو «الصوت الخفي الذي لا يتجسد إلا من خلال ملفوظه وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث، ووصف الأماكن، وتقديم الشخصيات، ونقل كلامها عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها»<sup>2</sup>. وقد تميّز الراوي في إطار بنية الاستهلال بالتعدّد، فتارة يكون الجاحظ نفسه وتارة يكون راويًا معلومًا، وآخر مجهولًا. ومن أمثلة ذلك:

الراوي/الجاحظ: كنت في منزل أبي كريمة ..... / رأيت أنا حمّارة منهم.....

الراوي/معلوم: قال ثمامة، حدّثني موسى بن عمار/ قال مثنى بن بشير/ حدّثني أبو إسحاق بن سيار النّظام (3 مرات) / قال أبو نواس / حدّثني إبراهيم السندي (2 مرة) / قال سجادة / قال خاقان بن صبيح.  
الراوي/مجهول: ولكن معلوم بالنسبة للجاحظ، وهو أهل لأن يُنقل عنه، في قوله: قال أصحابنا، ما سمعناه من مشايخنا، زعم أصحابنا.

2. **المتن:** وهو مجموع الخبر وأحداثه، يقوم عادة على حيلة لطيفة وبديعة، قوامها الإيجاز والمجاز ويتكوّن المتن من تظافر عدّة مكوّنات سردية أهمّها:

#### أ- الزمان:

اتّفق نقاد السرديات على عدّ الزمن (Tense) من العناصر المهمة في بنية النص السردية، له وجود موضوعي ملموس كوجود النص ذاته<sup>3</sup>، ويُحسب للشكليين الروس (Les formalistes Russes) أنّهم أوّل من أدرج مبحث الزّمن بين محاور النظرية الأدبية في عشرينيات القرن العشرين<sup>4</sup>، واتخذت أعمالهم اللبنة الأساس للبحث في هذا المجال، وقد وظّف الجاحظ عنصر الزمن في طرفه على عدّة مستويات؛ إذ تُقسم إلى أزمنة ثلاث هي: زمن التلقي أو السماع (خاص بالاستهلال)، وزمن الرواية وقبلها زمن الحكاية (ويمثلان المتن)، ومثال ذلك (الطرفة 23): «قال سجادة: وهو أبو سعيد سجادة، ناسٌ من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها

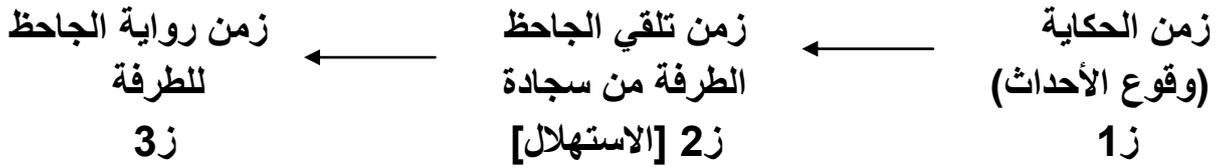
<sup>1</sup> عبد الله إبراهيم، المتخيّل السردية، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م ص61

<sup>2</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 158

<sup>3</sup> أسامة محمد البحيري، مقارنات في السرد العربي، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص 56

<sup>4</sup> ينظر: حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص 38

خفافهم يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر، وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر، حتى يكون كأنهم لا يلبسون خفافهم إلا ثلاثة أشهر، مخافة أن تنجرد نعال خفافهم أو تُنقَب<sup>1</sup>.  
فزمن وقوع الحكاية وقع فيها الماضي واستمر ستة أشهر حسب رواية سجادة الذي نقلها للجاحظ، وعموما فإن زمن هذه الطرفة كان مرتبا بشكل متوال.



غير أنّ تلقينا لها من كتاب الجاحظ جاء على نحو مخالف:

يروى الجاحظ نص الطرفة ناقلا إياه عن سجادة فيقول: قال سجادة: [يروى سجادة الخبر للجاحظ]:  
3ز [الاستهلال] 2ز

### ناس من المراوزة...تنقب

### 1ز زمن وقوع الأحداث (6 أشهر)

وهذه الأزمنة الثلاث تتسم بطابع الاسترجاع الذي يعني كلّ ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي تحدث فيها القصة<sup>2</sup>، فالقصة قد وقعت وانتهت ثم نقلها سجادة والجاحظ، ثم نقلها الجاحظ في كتاب البخلاء.

### ب- المكان:

لم يحظ المكان بوصفه عنصرا سرديا بالأهمية التي عرفها الزمن، ورغم ذلك كانت هناك محاولات جادة للتنظير له غربية وعربية، وتشير سيزا قاسم إلى ضرورة التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان (المكان/الفراغ/الموقع) ومقابلاتها<sup>3</sup> (Espace/lieu/location) واستقرت على استعمال لفظ المكان اتساقا مع لغة النقد العربي<sup>4</sup>. والقارئ لطرف أهل خراسان يقف على تنوع الأمكنة التي أوردها الجاحظ، ويمكن تقسيمها إلى:

<sup>1</sup> الجاحظ، البخلاء، مرجع سابق، ص 49

<sup>2</sup> جيران جنيت، خطاب الحكاية، ص 51

<sup>3</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية، مرجع سابق، ص 101

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 101

- **المكان المفتوح:** وهو المكان الذي يمنح القدرة على الحركة والانتقال، مثل المدن والبلدان والقرى<sup>1</sup>، ويملك أهمية قصوى في تشكيل الفرد وأحاسيسه وانفعالاته من خلال إحساسه بالانتماء إلى ذلك المكان<sup>2</sup>. وهو الحاصل مع أهل خراسان فإحساسهم بالانتماء غلى بنية واحدة انعكس على صفاتهم وأخلاقهم ووسمهم بالبخل.
- الأمكنة الكلية: وتشمل البلاد العربية والفارسية، وبعض المدن كبغداد والبصرة، وخراسان....
- الأمكنة الجزئية: وهي الأمكنة التي تظهر ضمن الأمكنة الكلية، وهي محدّدة ولكنها عامية يرتادها الناس<sup>3</sup> مثل: البستان في (الطرفه 17)، وقرية الأعراب في طريق الكوفة (الطرفه 7)
- المكان المغلق: وهو المكان المحدّد بحدود ثابتة لا يتجاوزها ويتركز فيها وقوع الحدث<sup>4</sup>، وهو في طرف أهل خراسان "المنزل"، يقول الجاحظ: كنت في منزل أبي كريمة، ويقول: زعم أصحابنا أنّ خراسنية تراقفوا في منزل، قلت: لأحمد بن هاشم، وهو يبني داره ببغداد .... فالمنزل في طرف أهل خراسان سواء صرّح به أم لا، هو الوعاء الحاضن لتجارب البلاء ومملكتهم التي تشهد على حسن تدبيرهم للأمور.
- عموما إذا كان ذكر المكان يمنح النوادر المصدقية والواقعية، ويُبعد الشك عن فحواها... والتنويع فيها بين خراسان، مرو، العراق، وبغداد ... يضيف الحيوية على النصوص، ويبعد الملل عن القارئ .... فإنّ للزمن دورا بالغا في تعزيز هذه الصفة.

## خاتمة

إنّ هذه الدراسة التطبيقية لطرف أهل خراسان بوصفها أحد أهم النصوص السردية في كتاب البلاء تمكن من تذوق جماليتها وتميزها بنية ودلالة .. وقد مكنت بالفعل من تحديد البنية السردية لهذا النمط وبخاصة ما جاء في ذكر أهل مرو فنجد ما يلي:

1- تقوم النادرة في نصوص الجاحظ على بنية سردية مخصوصة قوامها؛ الاستهلال السردية

المتن والختام .

<sup>1</sup> عدي عدنان، بنية الحكاية في البلاء للجاحظ، دراسة في ضوء منهجي يروب وغريماس، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م ص180

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 180

<sup>3</sup> عدي عدنان، بنية الحكاية في البلاء للجاحظ، مرجع سابق، ص 180

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 180-182

- 2- تجاوز الجاحظ حدّ الظرف والفكاهة في طرفه إلى تقديم رؤية خاصة وثاقبة رفيعة المستوى.
- 3- تعدّد الرواة في بنية الاستهلال ساهم في إعطاء مصداقية للمتن، كما ساعد الجاحظ على التخفي أحياناً لتمرير رسائله الناقدة للمجتمع.
- 4- إنّ الإعلان عن الزمان والمكان من بنية الاستهلال مؤشّر داعم لمصداقية المتن ومشروعيته.
- 5- تميّز المتن في طرف الجاحظ بالإيجاز والتكثيف، والمبالغة، والغرابة، أحياناً ممّا جعلها ذات قيمة أدبية مميّزة.
- 6- تميز الختام ببروز شخصية الجاحظ لاسيما عبر؛ التعليق، الاستدراك والتوضيح، التفسير والوصف، التعريف، الترجمة، التصحيح والتقرير.